القمة العربية
من فلسطين الى العراق وبالعكس

صخر حبش

لعب صمود الشعب الفلسطيني، وجرأته في المواجهة والتصدي للعدوان الاسرائيلي البشع الذي شنه السفاح الارهابي شارون دورا هاما في عقول وضمائر ومواقف الرأي العام الدولي، وخاصة الرأي العام الاوروبي. وفي الولايات المتحدة الامريكية، حيث حظي شارون بدعم وغطاء غير محدود ليقوم بفرض سلام الامن الاسرائيلي على الشعب الفلسطيني خلال المئة يوم الاولى من حكمه. فكانت النتيجة تكسر صلف وغطرسة الاسلحة الامريكية الموجهة مع الحقد الصهيوني ضد شعبنا على صخرة الصمود والتصدي الذي أكده شعب الجبارين. ومع ركوب شارون موجة التوجه الامريكي لمحاربة ما يسمونه بالارهاب بعد احداث 11 سبتمبر، تحرك اللوبي الصهيوني بشكل نشط ليربط المصلحة الامريكية بالهيمنة على العالم مع المصلحة الاسرائيلية بالهيمنة على منطقة الشرق الاوسط. وبدأ صهاينة الادارة الامريكية وفي مقدمتهم نائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد ونائبه وولفتز يضعون الخطط لاستكمال مخطط الهيمنة بعد ان اعتقدوا انهم انتهوا من قضية افغانستان. وان الموقف الدولي الذي ساند امريكا في عدوانها على الشعب الافغاني، سواء عن رغبة في مكاسب او رهبة وخشية على مناصب. سيكون معهم. وقد لعب النفاق في التأسي على ما أصاب امريكا من مأساة دوراً جعل بوش وادارته يشعرون بأنهم امتلكوا ناصية الكون واصبح العالم باسره رهن اشارتهم. وقدضاعف حسمهم السريع لظاهرة طالبان والقاعدة عقدة غطرسة القوة والهيمنة لديهم على النظام العالمي الجديد. وارتفع شعار محور الشر الذي يضم حسب تعبيرهم العراق وايران وكوريا الشمالية. ولكن الادارة الامريكية فوجئت بانعدام التحشيد الدولي المساند لمقولتهم المزيفة محاربة الارهاب. فحول كوريا الشمالية، حرصت كوريا الجنوبية ان تكون اول الرافضين لسياسة العدوان الامريكي على جارتها الشمالية التي تسعى لفض الخلافات بينهما عن طريق الحوار والتفاوض. وقد ساندت كوريا كل من الصين وروسيا واليابان. الامر الذي قلص محور الشر الى العراق وايران. وقد استطاع الموقف الايراني المرن في تعامله مع الادارة الامريكية، وخاصة من خلال تعاونه على تصفية طالبان من خلال مشاركة الشيعة في تحالف الشمال، اضافة الى اعتقاله العشرات من اعضاء تنظيم القاعدة الذين سيسلمهم الى دولهم العربية الاصلية التي قد تقوم بتسليمهم لامريكا. اما العراق فقد وصل التبجح الامريكي، سواء على لسان الرئيس بوش او اركان ادارته من الصهاينة بانهم سيقومون بالهجوم عليه ولو منفردين. وهنا تدخل قضية الشرق الاوسط والدور الاسرائيلي فيها مرحلة جديدة.

كلنا نذكر كيف شكل بوش الاب عام 1990 حلفه الثلاثيني لضرب العراق تحت شعار تحرير الكويت. وقد وجد من الانظمة العربية من يدعم مخططه بدوافع مختلفة. ولكنه كان يدرك ان الحفاظ على التحالف لا يمكن ان يتحقق الا بعزل اسرائيل جانبا وعدم اشراكها في الاعمال العدوانية على العراق حتى في حال قصف العراق لاسرائيل بالصواريخ. وقد وافق شامير على الصفقة التي كانت تضمن له التخلص من منظمة التحرير ووصمها بالارهاب، واعادة الاعتبار للحركة الصهيونية كحركة تحرر وطني للشعب

اليهودي، وفرض سلام الاذعان على العرب والفلسطينيين من خلال مؤتمر دولي، ينجم عنه مسار مفاوضات ثنائية مباشرة يلحق فيها الوفد الفلسطيني بالوفد الاردني بدون ممثلين عن القدس او اللاجئين. ومسار المفاوضات متعددة الاطراف تشارك فيها الدول العربية البعيدة عن المواجهة لتغطية نفقات عملية السلام الامريكي.

ومن خلال الذاكرة وربطها بالواقع الراهن نكتشف ان الامور تغيرت كثيرا. فعلى الرغم من الحصار الظالم الذي استمر 11 عاما ولا يزال, فان علاقات العراق تطورت ايجابيا على المستوى العربي والدولي. واصبح اقحام العراق في محور الشر مرفوضاً من دول كثيرة في العالم مثل روسيا وفرنسا والصين. الى جانب اجماع عربي واسلامي يرفض العدوان على العراق، ولكن حسابات امريكا لا تقف عند حد من يرفض ممارسات هيمنتها وارهابها العدواني وانما عند من يتجرأ ويقف ليحول بينها وبين تنفيذ مخططاتها. ومن هنا يطرح صهاينة الادارة الامريكية السؤال حول اذا كان هنالك من سيقف في وجه ضربها للعراق بشكل مكثف كما جرى في افغانستان، مع العلم ان امريكا لم تتوقف عن ضرب العراق خلال السنوات العشر الماضية تحت ذرائع مختلفة وتشاركها في العدوان بريطانيا.

امريكا لن تطلب إذناً من الدول التي تقيم عليها قواعدها لكي تنطلق منها الصواريخ والطائرات. وهي لن تسأل عن حدود المياه الاقليمية التي يمخر فيها اسطولها النووي. والاهم من كل هذا انها لم تعد تخشى من اشراك الكيان الصهيوني في العملية العدوانية التي تخطط لها. ولقد تأكد ذلك في اللقاء الاخير الذي جرى مع شارون في البيت الابيض. حيث انصب الرأي الامريكي على دور الكيان الصهيوني في العملية القادمة ضد العراق. ويعتقد الرئيس بوش ان التهدئة على الساحة الفلسطينية تخدم سياسته تجاه العراق. ولذلك فان بوش ومعه كولن باول رفضا مواقف شارون التي ترفض الشراكة مع الرئيس عرفات، وتتمسك بخطة جهنم المتدحرجة التي تهدف الى تدمير البنية التحتية للسلطة الوطنية، وتسعى لتقويضها والبحث عن قيادة بديلة وصيغة بديلة على انقاض اتفاقيات اوسلو، لقد اكد بوش لشارون على استمرار الاعتراف بالرئيس عرفات وبمنظمة التحرير وبالسلطة الفلسطينية، واكد على ضرورة التهدئة وتخفيض معاناة الشعب الفلسطيني حتى تتمكن الادارة الامريكية من تنفيذ خطتها ضد العراق في وضع يكون فيه العالم العربي اقل توترا من سياسات الولايات المتحدة الامريكية.

لقد تكشفت نوايا اللوبي الصهيوني وتأثيراته في الادارة الامريكية من خلال تصريحات بن اليعازر، وزير العدوان الاسرائيلي، الذي كشف مشاعر تشيني بقوله (ان بامكان اسرائيل شنق عرفات) وكذلك مشاعر كونداليزا رايس بقولها (ان التفاوض مع عرفات مضيعة للوقت) وقد اضطر الاثنان الى نفي تصريحات بن اليعازر وتكذيبها ورفضا استقبال اعتذاره لكون ما سربه يتعارض مع سياسة الرئيس بوش وسياستهم الموجهة بشكل مركز ضد العراق. ان اللوبي الصهيوني يدرك أهمية اخضاع الشعب الفلسطيني الى حد الاستسلام. ولكنه ادرك بالممارسة صعوبة ذلك، وبان التصعيد الاسرائيلي قد يؤدي الى تفجير المنطقة شعبيا ورسميا ضد امريكا وبالتالي يكون العراق هو الكاسب الاكبر من الاجواء العربية والاسلامية الصاخبة ضد اسرائيل. ويعتقد الرئيس بوش ان الدور الفلسطيني للاخضاع التام سيتحقق بعد استكمال تصفية النظام العراقي الصامد في وجه الحصار، حيث ستتحقق كما يحلم الهيمنة الامريكية العالمية على الرغم من الاعتراضات العربية والدولية. وسيكون لحكومة شارون دوراً يختلف عن الدور الذي لعبته حكومة شامير خلال العدوان عام 1991 والتي رضخت لشروط تحمل الصواريخ للحفاظ على التحالف مع امريكا.. فمع العدوان الراهن الذي تحضر له امريكا لن تجد حليفاً في المنطقة بشكل جدي اكثر من الكيان الصهيوني. واذا كان الرئيس بوش يعيش دور الانتقام من فشل والده في استكمال مشروع النظام العالمي الجديد عام 1991 فان شارون يقوم بالرد على الهزيمة النفسية التي الحقها شامير بالمجتمع الاسرائيلي الذي عاش ايام وليالي الرعب من صواريخ الحسين والعباس خلال حرب الخليج الثانيه.

من هذا الواقع الذي يعيد مفهوم التحالف الا ستراتيجي العسكري بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني يجب ان يتم النظر الى الامور والوقائع بشكل واضح. ولا بد من تحديد طبيعة الممارسات اللازمة لدرء المفاسد وتلك الضرورية لجلب المنافع. فالساحة الفلسطينية حققت خلال الشهرين الاخيرين تطوراً كبيراً في استقطابها من جديد لرأي عام دولي استعاد رؤيته التي تفرق بين باطل الارهاب وحق المقاومة. وقد تبدى ذلك بوضوح في الموقف الاوروبي الرسمي.فالمقولة الشارونية عن ضرورة فرض حالة امن مطلقة ووقف اطلاق نار شامل لابد ان يتحقق قبل الدخول في عملية تفاوض، بما في ذلك وقف الانتفاضة الشعبية التي تصفها حكومة شارون والادارة الامريكية بأنها عنف لابد من وقفه. هذه المقولة سقطت من اعتبارات الموقف الاوروبي الذي ادرك ان الحصان هو السياسة التي يجب ان تسبق العربة التي هي الامن. ولقد ادرك المجتمع الاسرائيلي مؤخراً، وعبر بشكل واضح عن ادراكه بمجموعة الظواهر الصاخبة التي عبرت عنها المظاهرات الحاشدة ضد سياسة شارون وضد استمرار الاحتلال.وقد عبرت مواقف الجنود والضباط عن ظاهرة رفض استمرار الاحتلال والحصار من خلال العرائض والبيانات التي ترفض الخدمة في الاراضي المحتلة عام 1967 هذه الحقائق التي تدعم الموقف الاوروبي.. وتتحرك بشكل يدعم مواقف الادارة الامريكية الرامية الى استهداف العراق اولاً ومن ثم التحول الى الساحة الفلسطينية بما يخدم مصالح الكيان الصهيوني.

ويرتفع السؤال حول طبيعة التصدي لهذا المخطط الصهيوني الامبريالي الذي يستهدف الامة العربية والاسلامية بشكل عام، وفلسطين والعراق بشكل خاص. فالشعب الفلسطيني الذي يدرك ان صموده في مواجهة الغزوة الصهيونية انما يشكل دفاعاً عن الحضارة العربية والاسلامية، وانه يشكل السد الذي يحول دون طوفان العدوان الذي يستهدف الا مة العربية حاضراً ومستقبلاً. ولتعزيز صمود الشعب الفلسطيني فان عليه ادراك ركائز هذا الصمود ودعائم استمراره، وفي مقدمة ذلك التأكيد على وحدته الوطنية من خلال المشاركة الفعالة لكل مكونات الشعب الفلسطيني في ترسيخها وتعزيزها بدءاً بالسلطة الوطنية واجهزتها ومؤسساتها وبالقوى الوطنية والاسلامية وامتداداتها في اطر المجتمع المدني والهيئات المحلية والاتحادات والنقابات والمنظمات الشعبية. هذه الوحدة هي التي تتعزز حول وحدة الهدف الراهن الذي يعطي المصداقية لمنطلقات شعبنا نحو السلام العادل. ويؤكد التمسك باستراتيجية السلام في مواجهة استراتيجية الحرب التي يشنها السفاح شارون. وتشكل قرارات الشرعية الدولية والتمسك بها المؤشر الا ساس لتوجهات شعبنا واهدافه من الانتفاضة المباركة والمقاومة الباسلة وفي مقدمتها انهاء الاحتلال وازالة الاستيطان من جميع الاراضي المحتلة عام 1967 بما فيها القدس وحتى حدود الرابع من حزيران. هذه هي المقدمة الاساسية لكل عملية السلام. فالاحتلال هو حالة الارهاب الموجهة ضد الشعب الفلسطيني من قبل السفاح شارون وهذا الارهاب الصهيوني هو الذيان السعي الى السلام ينطلق من مفهوم العدالة والتسامح الانساني. وان السعي الى الحرب ينطلق من مفهوم الحقد وغطرسة القوة، وهو ما يبدو واضحاً من خلال طبيعة العدوان الذي يمارسه السفاح شارون وحكومته العنصرية بكل ما يحمله من حقد وغطرسة، في الوقت الذي يقوم فيه الشعب الفلسطيني بكل قواه ومؤسساته بالدفاع عن حقوقه وبمقاومة العدوان والاحتلال والاستيطان، ويتحاشى ويدين استهداف المدنيين الذين هم ضحايا عدوان، جيش الاحتلال الذي يعطي وجوده الذرائع والمبررات لوجود المقاومة الباسلة واستمرارها كحق مشروع في مواجهة الارهاب الصهيوني.

يصنع ردود الفعل الفلسطينية المقاومة. والمطلوب ازالة الاحتلال ليتوجه الشعب الفلسطيني الى استكمال اهداف انتفاضته باقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس المباركة وبناء مؤسساته التي دمرها العدوان. وضمان حق عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها.

ان السعي الى السلام ينطلق من مفهوم العدالة والتسامح الانساني. وان السعي الى الحرب ينطلق من مفهوم الحقد وغطرسة القوة، وهو ما يبدو واضحاً من خلال طبيعة العدوان الذي يمارسه السفاح

شارون وحكومته العنصرية بكل ما يحمله من حقد وغطرسة، في الوقت الذي يقوم فيه الشعب الفلسطيني بكل قواه ومؤسساته بالدفاع عن حقوقه وبمقاومة العدوان والاحتلال والا ستيطان، ويتحاشى ويدين استهداف المدنيين الذين هم ضحايا عدوان، جيش الاحتلال الذي يعطي وجوده الذرائع والمبررات لوجود المقاومة الباسلة واستمرارها كحق مشروع في مواجهة الارهاب الصهيوني.

لقد اثبتت الوقائع ان الارهابي شارون يعتمد في محاولة تبرير جرائمه بتشكيل غطاء دولي لعدوانه تحت عنوان استهداف المقاومة الفلسطينية للمدنيين الاسرائيليين داخل الكيان الصهيوني. وفي الوقت الذي تأتي فيه العمليات بمجملها كرد فعل على عمليات اغتيال القيادات وقصف المدنيين الفلسطينيين في مناطق السلطة الفلسطينية بوحشية، فانها تعطي شارون ذرائع التصعيد المستمر الذي يحشد من خلال الاعلام الصهيوني الطاغي مشاعر التعاطف مع ما يسمونه ضحايا الارهاب الفلسطيني، في الوقت الذي يتزايد فيه شهداء وجرحى الانتفاضة والمقاومة دون الاشارة الى الارهاب الصهيوني ومسؤوليته.

ان التأكيد على اهمية استمرار الانتفاضة والمقاومة هو من اولويات الموقف الفلسطيني لتعزيز صموده في تحقيق اهدافه. وان المطلوب هو تحديد طبيعة المهمات بما يرسخ التعاطف الدولي والرأي العام الداعم لنضالنا المشروع والذي يرتكز على قرارات الشرعية الدولية، وقد اثبتت وقائع النضال ان العمليات ضد جيش الاحتلال والمستوطنين، وهي حق مشروع حسب القانون الدولي تعطي تأثيراً ايجابياً على الرأي العام العالمي لصالح النضال الفلسطيني. وهي تعطي ايضاً مردوداً ايجابياً على ساحة الارض الفلسطينية المحتلة عام 1967، حيث يؤكد النضال ضد المستوطنات انها عقبة في طريق السلام. وانها غير شرعية. وبالتالي يؤدي ذلك الى ارتفاع اصوات المجتمع الاسرائيلي الذي يحلم بالسلام بضرورة ازالة المستوطنات. وعلى عكس ذلك فان الاعمال التي تؤدي الى سقوط المدنيين في داخل المدن في الكيان الصهيوني تعزز الامن في المستوطنات وتعطي للعالم مبررات السقوط في احضان الاعلام الصهيوني الموجه الذي يحاول وصم هذه العمليات بالا رهاب، وبالتالي ادانة المنظمات الفلسطينية صاحبة الحق المشروع في المقاومة بالارهاب.

ان القضية الفلسطينية تشكل اليوم البند الاول على جدول اعمال القمة العربية القادمة. ولابد ان يكون مفهوماً لجميع العرب، رؤساء وحكومات وشعوب ان القدس التي يحاول الاسرائيليون عزلها وبناء سور برلين جديد فيها تشكل العنوان الاول في القضية الفلسطينية. فهي قادرة على ان تحشد الامة الاسلامية والشعوب المسيحية في العالم ضد سياسة تهويدها. ولابد ان تكون القدس وقضية حق العودة الى جانب ثوابت شعبنا في الحرية والاستقلال وبناء الدولة المستقلة حسب حدود الرابع من حزيران 1967 بعاصمتها القدس تشكل السد في وجه المخططات الامريكية التي تستهدف ضرب العراق بعد فرض تهدئة زائفة على الساحة الفلسطينية. ان وضع العراق على جدول اعمال القمة هو تحقيق لحالة التكامل التي يتطلبها مستقبل امتنا العربية. فالموقف العربي الرسمي والشعبي لا يجب ان يكون مجرد معترض على مبدأ العدوان على العراق وانما لابد من الخروج من حالات تسول السلام الى صنع السلام بالارادة التي تمتلكها امتنا العربية، وبالمقومات والامكانيات التي تكفي لتهزم كل قوى الشر اذا سمت النفوس عن صغائر الذات والمصالح الفردية وشهوات الحياة الزائلة. ان العدوان على القدس هو عدوان على الامة العربية والاسلامية، وهو عدوان على العالم الانساني بأسره. وان العدوان على العراق هو عدوان على الا مة العربية والا سلامية، وعدوان على كل الا حرار والشرفاء في العالم. وعلى كل الدول العظمى والصغرى التي ستتحول، اذا ما انطلقت يد امريكا في عدوانها، الى محميات في النظام العالمي الجديد.

القمة العربية القادمة قادرة ان تعيد للامة العربية رونقها وعنفوانها وكبريائها. وهي ليست وحيدة في هذه المرحلة، فالدول العظمى والدول الصناعية الكبرى ستجد في الموقف العربي القوي على ارض الواقع، بامكانياته المادية والمعنوية سنداً لخلاصها من التبعية ومدخلاً لبناء نظام عالمي لا يخضع لروما الجديدة

وانما لمنطق وحدة الامم من اجل صيانة الانسانية من نزعات الطغاة ومفاسد البغاة.

وقد حرصت حركتنا فتح في المرحلة الاخيرة على تكثيف اجتماعات اطرها المسؤولة رغم ظروف الحصار. فاجتمع المتواجدون في المجلس الثوري اكثر من مرة. واصبحت اللجنة المركزية في حالة انعقاد دائم مع القيادات الميدانية، وقد اطلع الجميع على حصيلة التحركات السياسية والاتصالات التي تتم مع الاخ ابو عمار والاخوة اعضاء اللجنة المركزية بما في ذلك ما ينشر حول المبادرات وتصورات المستقبل وكيفية مواجهة المخطط الشاروني المدعوم امريكياً. وقد ثمنت الحركة عاليا التزام موقف شعبنا الفلسطيني وصموده ومواجهته الباسلة للعدوان وتأييده المطلق للاخ ابوعمار الذي يشكل رمز الصمود والتمسك بالثوابت الوطنية. ولقد عبرت الحركة عن الدورالبطولي الذي وقفه جميع اعضائها في مواقعهم النضالية سواء في قوات الا من الوطني او الاجهزة او الوزارات وفي التنظيم في الا قاليم جميعها باعتبارهم يشكلون دعامة حقيقية لترسيخ الوحدة الوطنية مع جميع القوى الوطنية والا سلامية ولتعزيز استمرار الانتفاضة المباركة والمقاومة الباسلة. وقد كانت استجابة اعضاء الحركة لنداء الاخ ابو عمار بوقف اطلاق النار تأكيداً على الا لتزام الذي استمر عدة اسابيع والذي خرقه السفاح شارون باستمرار عدوانه وسياسته القائمة على الاغتيالات والحصار والتدمير واعادات الاحتلال.

وقد اكدت الحركة على ان المعركة التي نخوضها هي معركة الاستقلال وهي معركة تنطلق من التمسك بقرارات الشرعية الدولية التي تشكل حدود الثوابت الوطنية سواء بالنسبة للارض او للشعب او لمفهوم السيادة. وهذه المواقف هي التي تحظى بالاجماع الوطني، وتحظى بالدعم الدولي، وتحظى بالقدرة على تحشيد الطاقات المادية والمعنوية لضمان الانتصار الاكيد بعون الله تعالى.

وانها لثورة حتى النصر